الإعجاز العلمي

مجلة فصلية تصدر عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسُنَّة
العدد ٤٥ ذو الحجة ١٤٣٤هـ

الاغتسال بالماء البارد ينبّه الجهاز العصبي ويزيد مناعة الجسم وينشّط عضلة القلب

(DNA) ينتقل من الآباء إلى الأبناء عبر النطفة الأمشاج

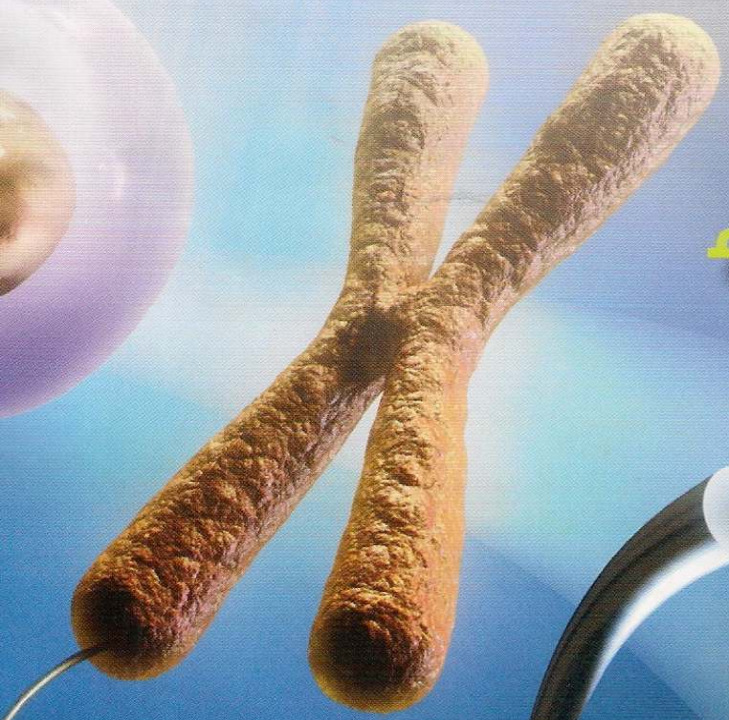

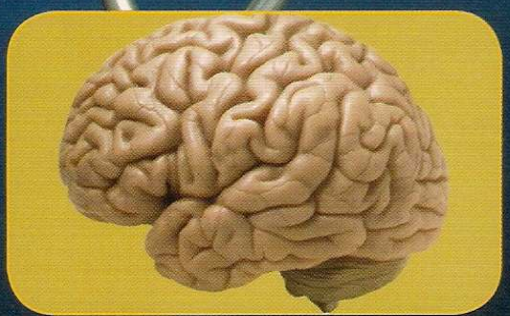

الفص الأمامي من المخ يقوم باتخاذ القرار وتوجيه السلوك

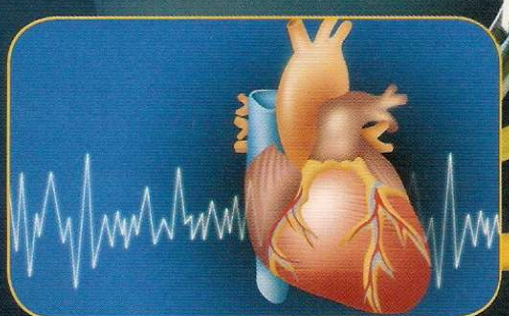

القرآن الكريم منذ ١٤ قرناً يثبت أن القلب المدخل الوحيد لمراكز الإدراك

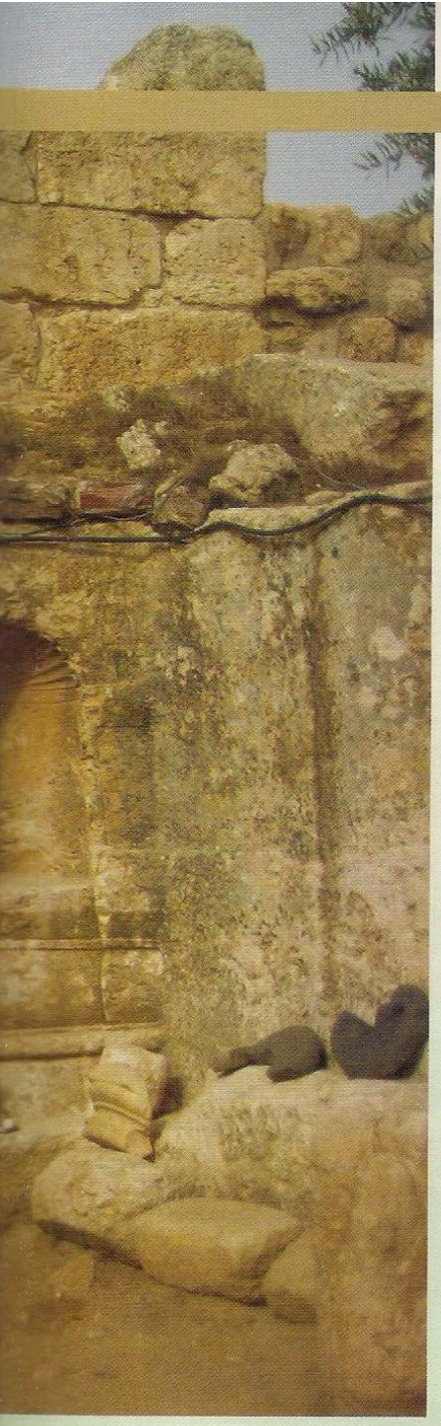

التفسير الطبي لقصة (أصحاب الكهف)

(من الآية ٩ إلى الآية ٢٦ من سورة الكهف)

لقد فصّل الله عز وجل أحوال أصحاب الكهف في ١٨ آية قرانية كريمة (من الآية ٩ إلى الآية ٢٦) و التي تتألف من ٣٣٦ كلمة. و كما هو معلوم فإن ما ورد في القرآن الحكيم غاية في الإعجاز كذلك غاية في الإيجاز،وهكذا نجد في هذه القصة أن الباري عز و جل أراد بهذا التفصيل في شرح أحوالهم أن يرشدنا نحن الأطباء في هذا الوقت من خلال هذه الإشارات المباشرة و غير المباشرة في قصتهم إلى طريقة جديدة للترقيد قد تكون مشابهة لحالة نومهم من خلال الإفادة من التقنيات الحديثة في هذا العصر. حيث نعتقد أن حالة أهل الكهف في نومهم قد كانت وفق أسلوب علمي مما يعني إمكانية تقليدها من قبل ذوي الاختصاص، ومما يؤيد هذه التوجه قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ (الكهف/٩) وذلك في استفهام انكاري معناه أن أمرهم لم يكن عجباً!! .

الدكتور محمد جميل الحبال
استشاري الطب الباطني
الدمام

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية ما نصه : (أي ليس أمرهم عجيباً في قدرتنا وسلطاننا فإن خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وتسخير القمر والكواكب وغير ذلك من الآيات العظيمة - الدالة على قدرة الله تعالى وأنه على ما يشاء قادر ولا يعجزه شيء - أعجب من أخبار أصحاب الكهف).

وفي ذلك إشارة ضمنية على أن طريقة نومهم هي من آيات الله الباهرة وحالها حال باقي آيات الله في الكون و الإنسان، ولم تكن معجزة خارقة كما هو الحال في معجزات الأنبياء و الرسل عليهم الصلاة و السلام، خاصة أن أصحاب الكهف كانوا فتية من أتباع سيدنا عيسى عليه السلام المؤمنين الموحدين وقد أيدهم الله و حفظهم بهذه الرعاية الربانية والكرامات الإلهية وسخر من أجلهم النواميس والآيات الكونية لحفظهم و حمايتهم و رعايتهم علماً بأنهم ما كانوا أنبياء أو مرسلين بل مؤمنين صالحين !.

أهم الإشارات الطبية المستنبطة من القصة :

وسنذكر أهم الإشارات الطبية المستفادة من الأحوال التي حدثت لهم وصولاً إلى الطريقة المستنبطة للتنويم والترقيد العميقين التي حفظهم الله بها.

١. **تعطيل حاسة السمع:** لقد اقتضت حكمة الله في حالة نوم أهل الكهف أن يتوقف عندهم عمل حاسة السمع خاصة وأن الصوت الخارجي عامل منبه يوقظ النائم وإلى ذلك أشار قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (الكهف/١١). والضرب هنا لغة: بمعنى التعطيل والمنع أي عطلنا حاسة السمع عندهم مؤقتاً ومبدؤها في الأذن كما ترتبط بالفرع السمعي من العصب القحفي الثامن (cochlear nerve) وتتميز حاسة السمع في الأذن بكونها الحاسة الوحيدة من بين الحواس الأخرى التي

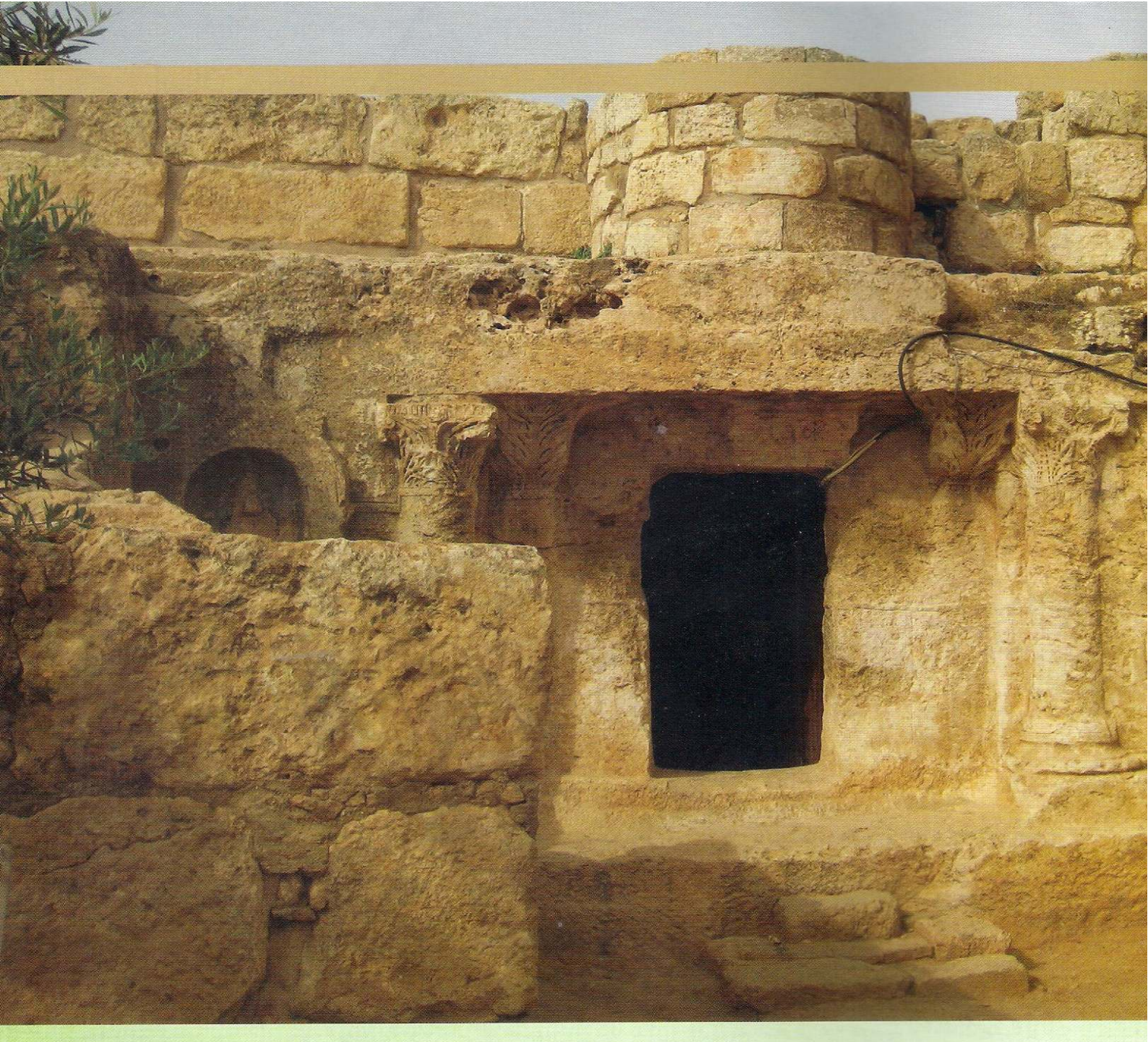

تعمل بصورة مستمرة في كافة الأحوال وفي النوم كما في اليقظة، وتربط الإنسان بمحيطه الخارجي.

٢. **تعطيل الجهاز المنشط الشبكي:** (Ascending Reticular Activating System): إن هذا النظام الحيوي و الضروري للحياة الموجود في جذع الدماغ Brain Stem يحافظ على حال اليقظة و الوعي استجابة للمحفزات الخارجية و الداخلية. ويرتبط هذا النظام بصورة رئيسية بالفرع التوازني من العصب القحفي الثامن (vestibular nerve). كمنبه ومنظم له ولذلك قال الباري عز وجل قال : (فضربنا على آذانهم) ولم يقل : (فضربنا على سمعهم) ! أي أن التعطيل حصل للفرعين معاً (السمعي والتوازني).

لذلك ففي حالة تعطيل عمل العصب الثامن من خلال منع توريد المحفزات منه إلى الجهاز المنشط الشبكي سيؤدي إلى:

أ. تعطيل المحفزات الداخلية التي توقظ النائم عادة بوساطة الجهاز المذكور أعلاه كالشعور بالألم أو الجوع أو العطش أو الأحلام المزعجة (الكوابيس). وفي حالة تعطيله أو تخديره يدخل الإنسان في النوم العميق وتقل جميع فعالياته الحيوية وحرارة جسمه كما في حالة السبات والانقطاع عن العالم الخارجي

ب. تثبيط فعاليات أجهزة الجسم المختلفة ومنها الإحساس بالمحفزات جميعاً وفي نفس الوقت المحافظة على أجهزتهم حية حيث تعمل في الحد الأدنى من استهلاك الطاقة (العمليات الأيضية-الحيوية).

وهذا ما نعتقد أنه قد حصل لهم خلال فتره النوم الطويلة ، فتوقف النمو الجسدي والتقادم بالعمر بالنسبة لهم (Aging process) بالرغم من أن الحياة قد استمرت على منوالها و توالي الزمن حولهم.

ونستنبط ايضا من قوله تعالى: (وازدادوا تسعاً)

(أن في هذه العبارة إضماراً يمكن تفسيره بوجهين أو أكثر فمن المشهور أن المضمر هو لفظ يدل على الزمن الذي مكثوا فيه في الكهف أي أن المعنى المقدر : (وازدادوا لبث تسع سنين) ويحتمل أيضاً أن تكون هذه الزيادة بالشهور أو الأسابيع أو الساعات . علماً أن جمهور المفسرين قالوا إن المراد بذلك : ثلاثمائة سنة شمسية وثلاثمائة وتسع سنين قمرية . ويجوز أن يكون المضمر هو لفظ يدل على مقدار ما ازدادوا في العمر لأن عمر أجسادهم حصل فيه توقف فلم يطابق الزمن الذي لبثوا فيه نائمين ويكون تقدير المضمر في هذه الحالة والله أعلم : (وازدادوا تسعاً في أعمارهم) وهي تسع ساعات بدليل قوله تعالى : ﴿قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يو م﴾ (الكهف/١٩) أي نهارا أو جزءا من نهار و مما يعضد هذا التفسير أن الفتية عندما أفاقوا من رقودهم الطويل لم يلاحظوا و جود أي تغير في هيئاتهم و إشكالهم. ومعنى ذلك أنه لم يكن لتقدم العمر عندهم أثر ظاهر عليهم وهذا التقدير أقرب إلى ظاهر الآية لأن الازدياد هنا مسند إليهم كما هو في نص الآية).

أشعة الشمس فوق البنفسجية طهرت الكهف من الداخل

٣. المحافظة على أجسامهم سليمة وحمايتها داخلياً وخارجياً بأسباب منها:

أ. التقليب المستمر لهم أثناء نومهم : وذلك في قوله تعالى ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ (الكهف/١٨)، لئلا تأكل الأرض أجسادهم بحدوث تقرحات الفراش في جلودهم والجلطات في الأوعية الدموية والرئتين أو إصابتهم بذات الرئة الفصي وغير ذلك من الأمراض.

Bed sores, Deep Venous Thromboses , Pulmonary Embolism and Hypostatic Pneumonia

وهذا ما يوصي به الطب التأهيلي حديثاً في معالجة المرضى فاقدي الوعي أو الذين لا يستطيعون الحركة بسبب الشلل وغيره بإجراء التقليب المستمر كجزء هام من العلاج حتى لا يحصل عندهم المضاعفات المذكورة أعلاه.

ب. تعرض أجسامهم مع فناء الكهف لضياء الشمس: وذلك بصورة متوازنة ومعتدلة على مدار فصول السنة منعاً من حصول الرطوبة والتعفن داخل الكهف في حالة كونه معتماً وذلك في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ (الكهف/١٧) . والشمس ضرورية كما هو معلوم طبياً للتطهير بالأشعة فوق البنفسجية (Ultra Violet Rays) أولاً ، ولتقوية عظام الإنسان وأنسجته بتكوين فيتامين د (Vitamin D) عن طريق الجلد ثانياً، وغيرها من الفوائد الكثيرة الأخرى .وهذا من آيات الله الكونيه، كما قال تعالى في وصف هذه الحالة : ﴿ذلك من آيات الله﴾.

يقول القرطبي في تفسيره لهذه الايه : (وقيل ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ﴾ أي يصيبهم يسير منها ، مأخوذ من قراضة الذهب والفضة أي تعطيهم الشمس اليسير من شعاعها... إصلاحاً لأجسادهم... فالآية في ذلك أن الله تعالى آواهم إلى كهف هذه صفته لا إلى كهف آخر يتأذون فيه بانبساط الشمس عليهم في معظم النهار والمقصود بيان حفظهم عن تطرق البلاء وتغير الأبدان والألوان إليهم والتأذي بحر أو برد).

ج. وجود فتحة في سقف الكهف: وذلك من الجهه الشماليه تصل فناءه بالخارج بنفق هوائي رأسي يساعد على تعريض الكهف إلى جو مثالي من التهوية وتبديل هوائه بصورة مستمرة والإضاءة عن طريق تلك الفتحة مع وجود الفجوة (وهي المتسع من المكان) في الكهف التي ذكرها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ (الكهف/١٧) . مما جعل هذا المكان مناسباً لمعيشتهم .

د. الحماية الخارجية : وذلك بإلقاء الرهبة عليهم وجعلهم في حالة غريبة جداً وغير مألوفة، لا هم بالموتى ولا بالأحياء ولابالنيام نوما طبيعيا (إذ يراهم الناظر كالأيقاظ يتقلبون ولا يستيقظون كما سيأتي لاحقاً) بحيث إن من يطلع عليهم يهرب هلعاً من مشهدهم الغريب وكان لوجود الكلب في باب فناء الكهف دور في حمايتهم (كأنه يحرسهم) في قوله تعالى : ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ (الكهف/١٨) . إضافة إلى تعطيل حاسة السمع لديهم كما ذكرنا أعلاه كحماية من الأصوات الخارجية .

هـ. حمايته تعالى لأعينهم: وذلك في قوله تعالى **﴿وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود﴾** (الكهف/١٨). فيه إشارات علمية دقيقة جداً فقد ثبت طبياً:

أن العين في حالة كونها منفتحة على الدوام (انفتاح الاجفان) ولأسباب مرضية متعددة، تتعرض للمؤثرات الخارجية فتدخلها الجراثيم والأجسام الغريبة، مما يؤدي إلى حدوث تقرحات القرنية (مقدمة العين) وعتمتها (Corneal Opacity) وبالتالي حصول فقدان حاسة البصر، وكذلك فإن العين في حالة كونها منغلقة على الدوام فإن ذلك يؤدي إلى ضمور العصب البصري بعدم تعرضه للضوء الذي يمنع العين من قيامها بوظيفتها؛ إذ إنه من المعروف في علم وظائف الأعضاء (علم الفسلجة) أن أي عضو كان من أعضاء الإنسان أو أجهزته يصاب

بالضمور والضعف التدريجي ثم موته إن لم تهيأ له الأسباب للقيام بوظيفته الطبيعية (Disuse Atrophy) .

أما في الحالة الطبيعية (اليقظة) فإن أجفان الإنسان ترمش وتتحرك بصورة دورية لا إرادية على مقلة العين و تعينها الغدد الدمعية التي تفرز السائل الدمعي النقي الذي يغسل العين ويحافظ عليها من المؤثرات الخارجية الضارة، فهذه العملية المركبة تحافظ على سلامة العين. فالله سبحانه وتعالى الذي حافظ على أجسادهم وجلودهم من التلف بالتقلب المستمر مع التعرض المناسب لضوء الشمس كما ذكرنا سابقاً قد حفظ عيونهم بهذه الطريقة الصحية من العمى وهكذا فقد قال في محكم كتابه : ﴿وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود﴾ ولم يقل : (وتحسبهم أمواتاً وهم رقود) لأن أحد علامات اليقظة حركة رمش أجفانهم. وقد يكون في هذا أيضاً (والله أعلم) السر في إلقاء الرهبة من منظرهم في قوله تعالى : ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً﴾ (الكهف/١٨) فهذا الوضع الغريب وغير المألوف حيال كونهم ليسوا موتى ولا مستيقظين ولا نائمين نوما طبيعيا (لأن النائم نوماً طبيعياً لا ترمش عينه) ، هذه الهيئة (والله أعلم) هي التي جعلت الناظر في حالة دخوله الكهف و الاطلاع عليهم يهرب فزعاً ويمتلئ قلبه رعباً من منظرهم! وليس الفرار منهم بسبب طول شعورهم وأظافرهم وتغير شكلهم كما ظن بعضهم وهذا بعيد كما يقول القرطبي في تفسيره ما نصه : (لأنهم لما استيقظوا قال بعضهم لبعض ﴿لبثنا يوما أو بعض يو م﴾ ودل هذا على أن شعورهم وأظفارهم كانت بحالها.. والصحيح في أمرهم أن الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها لتكون لهم ولغيرهم فيهم آية . فلم يبل لهم ثوب ولم تغير صفة... وأيقظهم الله من نومهم على ما كانوا عليه من هيئاتهم في ثيابهم وأحوالهم).

٤-الكلب حيوان تجريبي :

لقد دخل الكلب في حالة النوم التي جرت على أصحاب الكهف وقد يكون في ذلك إشارة إلى صلاحيته لإجراء التجارب العلمية عليه كنموذج تجريبي في حالة القيام بأبحاث طبية مستقبلاً؛وذلك لأن جهازه العصبي هو أقرب الى الجهاز العصبي للإنسان من أي حيوان آخر! كالتجارب على الجهاز المنشط الشبكي في الدماغ المسئول عن تنشيط الوظائف الحيوية ومنها الوعي واليقظة بواسطة تثبيط عمله باستعمال التقنيات الحديثة من خلال تعطيل العصب القحفي الثامن بفرعيه السمعي والتوازني. علما بأن ذكر الكلب لم يرد في الأخبار التي وردت قبل الإسلام بخصوص قصة أصحاب الكهف وقد تفرد القرآن الكريم بذكره كمعلومة أصيلة ربما للسبب المذكور أعلاه . مع أن عدم ذكره لا يؤثر في سياق القصة وأحداثها!!.

الخلاصة :

إن قصة أصحاب الكهف في القرآن الكريم قد ذكرها الله تعالى على مدى ١٨ آية في سورة الكهف (من الآية ٩ إلى الآية ٢٦) . حيث شملت

الجهاز العصبي للكلب أقرب الى جهاز الإنسان العصبي

الكثير من الإشارات العلمية و الطبية و من أهمها طريقة النوم الطويل لهؤلاء الفتية المؤمنين مدة ٣٠٠ سنة و إفاقتهم بعدها في حالة طبيعية لم يحصل لهم أي تغير ظاهر في أحوالهم .و إننا نعتقد أن طريقة رقودهم هذه قد اتبعت نواميس وآيات كونية و طبية أشار الله تعالى إليها في كتابه في ثنايا قصتهم بصورة مباشرة وغير مباشرة من أهمها:

- أن الله تعالى هيأ لهم كل أسباب الحماية الطبيعية والصحية.
- عطل حواسهم عن التأثر بالمحفزات الداخلية والخارجية؛وذلك بالضرب على آذانهم (العصب القحفي الثامن) مؤديا إلى نومهم العميق بالتعطيل المؤقت للجهاز المنشط الشبكي في جذع الدماغ المسئول عن حالة اليقظة والوعي .
- جعل أشعة الشمس تدخل كهفهم بصورة متوازنة وترعى أجسادهم وكهفهم على مدار فصول السنة.
- تقليب أجسادهم وحفظها من التلف وتقرحات الفراش وغيرها من الأمراض.
- جعل أعينهم ترمش فحافظ عليها من العمى.
- جعل فوق الكهف فتحة لتغيير الهواء بصورة متواصلة وللإنارة .
- حماهم كذلك من دخول احد عليهم والعبث بهم... وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى وقد يكشف عنه العلم مستقبلا في إشارات قرآنية لنا معاشر الأطباء والعلماء المسلمين في عصر العلم و التكنولوجيا للتوصل إلى طريقة مشابهة للترقيد القصير و الطويل الأمد و من دون الحاجة لاستعمال الأدوية المخدرة! .
- وقد ذكر الكلب في ثنايا قصتهم عده مرات للإفادة منه كحيوان تجريبي للتوصل إلى معرفة هذه الطريقة المبتكرة باستعمال التقنيات الحديثة في هذا العصر قبل تطبيقها على الإنسان، والله اعلم بمراده.

المصادر :

١. ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - الطبعة الأولى - دار الجيل - بيروت - ١٩٨٨.
٢. القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الطبعة الأولى - دار الكاتب العربي - القاهرة - ١٩٦٧
٣. د. محمد جميل الحبال-العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي-مكتبة دار المنهاج القويم-دمشق ٢٠٠٦م